بريد الجمعة

إثراء المعارف الرقمية

بريد الجمعة

الجُمعَة ■ ٩ أغسطس ٢٠٠٢ ■

يكتبه: عبدالوهاب مطاوع

الفرصة الضائعة!

أكتب إليك وأرجو أن أجد عندك ما يخرجني من حيرتي فأنا سيدة في الثامنة والثلاثين من عمري. حلمت كأي فتاة بفارس الأحلام الذي يجيء من وراء الأفق ويحتويني ويندفق عليه ينبوع حبي. وشاءت لي الأقدار أن يجيء هذا الفارس وأنا في الثانية والعشرين من عمري. فتزوجنا منذ ١٦ عاما وسعدت بالحب وبرضيت عن حياتي وعن زوجي لكن زوجي لم يكن راضياً للأسف عن حياته فلقد كان مهندسا طموحا يعمل بالمقاولات الصغيرة ويكسب ما يكفينا ويوفر لنا حياة كريمة، لكنه كان يحس دائما بأنه أقل من بعض زملائه المهندسين. ويشعر بالسخط على حظه في الحياة ويتساءل دائما لماذا لم يعطني الله ما أعطاهم مع انني أفضل منهم كمهندس؟ فكنت أحثه دائما على الرضا بحياتنا.. وأذكر له أن حالنا أفضل بكثير من أحوال غيرنا وأن المهم هو السعادة والصحة وسلامة الأبناء الثلاثة الذين أنجبناهم خلال رحلة الزواج. لكنه كان ينطلع إلى الثراء السريع. ويسعى إليه بكل السبل. إلى أن اتصلت به سيدة مطلقة ولديها أبناء شباب يدرسون بالجامعة وكلفته ببناء فيلا لها بالساحل الشمالي.

ومن اللحظة الأولى التي روى لي فيها عن هذه السيدة لم أشعر بالارتياح لها وحذرته منها.. لكنه لم يستجب لي. وبدأ يقضي ساعات طويلة معها كل ليلة ولا يرجع إلى البيت إلا مع الفجر بدعوى إعداد رسوم الفيلا. ومناقشة التفصيلات. ولاحظت أنه يرجع من عندها كل مرة وهو تفوح منه رائحة الخمر ويبرر لي ذلك بأنه اضطر لمجاملتها بالحساء بعض الشراب معها.. وانتهى بناء الفيلا وتسليمها.. ولم تتوقف المقابلات والاتصالات بينهما وسألته عن مبرر ذلك وقد انتهى عمله معها فأبلغني بأنه يشاركها في بعض الأعمال التجارية كشراء العقارات وأراضي البناء إلخ. وحدثت بيننا مشاكل كثيرة بلغت قمتها حين أبلغني صديق له بأن زوجي قد تزوج هذه السيدة المطلقة عرفيا بغير علم أبنائها.. وصدمت صدمة شديدة ومع ذلك فقد تعلقت بالأمل في أن يفيق زوجي من هذه النزوة ويتفرغ لزوجته وأبنائه.. فلم يحدث ذلك للأسف وإنما طلقني زوجي لكي يتفرغ هو لطموحه وزواجه العرفي ومشروعاته لتحقيق الثراء. وأخذ مني الولدين وكان أكبرهما في الحادية عشرة والأخر في العاشرة وبقيت مع طفلتي التي يبلغ عمرها ست سنوات. وغادرت بيت الزوجية مكسورة القلب والخاطر ورجعت إلى بيت أبي وعدت إلى وظيفتي التي كنت قد تخليت عنها لأتفرغ لزوجي وأبنائي، وبعد قليل رحل أبي عن الحياة حزينا على مصيري، ولحق بأمي الراحلة رحمهما الله.. وخلال ذلك اتصل زوجي السابق بأخي وهو إنسان طيب القلب للغاية وأبلغه بأنه سوف يعيدني إلى عصمته في أقرب فرصة.. ونقل إليّ أخي ذلك فرفضت التفكير في العودة إليه في البداية. ثم مع تكرار اتصال زوجي السابق بأخي وحديثه معه عن رغبته في إعادتي إلى عصمته واعتزامه أن يصطحبني للحج. بعد العودة بدأت أشعر بأنه ربما يكون قد تغير بالفعل وأدرك قيمة الأسرة وسعادة الأبناء.. فرحبت بالعودة إليه من أجل طفلتي والولدين ومن أجل الذكريات المشتركة التي تجمعني معه.. لكن الحال استمر بعد ذلك عاما ونصف العام دون أي خطوة إيجابية لإتمام العودة.. ومن حين لآخر يتصل زوجي السابق بأخي أو يتصل به أخي ويدور الحديث بينهما عن عودة الحياة الزوجية بيننا وجمع شمل الأسرة والأبناء، ثم يسافر زوجي السابق إلى محل اقامته في المدينة الساحلية ولا يعود وتنقطع أخباره فترة طويلة.. ثم يتجدد الاتصال مرة أخرى وينتهي إلى نفس النتيجة إلى أن اتصل بي منذ فترة قصيرة واشترط علي لكي نعود لاستئناف حياتنا الزوجية الا أطلب منه شيئا حتى ولو كان مهرا بسيطا لمجرد إشعاري بأهميتي لديه، مع أننا سنعود للحياة الزوجية إذا عدنا بعقد جديد..

ولم تكن هذه هي المشكلة الأساسية. وإنما جاءت المشكلة بعد ذلك حين عاود الاتصال بي مرة أخرى ليعترف لي بأنه قد تزوج خلال فترة انفصالنا عرفيا من أربع سيدات على التوالي الواحدة بعد الأخرى وطلقهن جميعا، ثم منذ أشهر تعرف بخامسة وتزوجها عرفيا كذلك وتعبيرا منها عن حبها له فقد حملت منه.. وهو لا يعرف ماذا يفعل. فهل أريد العودة إليه على هذا الوضع؟ ووجدتني أجيبه بالرفض وانتهى الاتصال بيننا عند هذا الحد فهل ترانى قد أخطأت في مبادرتي برفض العودة إليه على هذا الوضع إنني حائرة وأخشى أن أكون قد تسرعت أو أضعت على نفسي وأبنائي الفرصة لإعادة جمع شمل الأسرة من جديد والفرصة لتحقيق الاستقرار لنفسي وأبنائي.. فماذا ترى لي وبماذا تنصحني؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

ليس هناك ما يدعو للحيرة او التشكك في انك قد اضعت فرصة ثمينة لإعادة الاستقرار إلى حياتك يا سيدتي، فالأرجح هو انك ما كنت ستعرفينه أبدا إذا رجعت إلى هذا الزوج المفتون بنفسه وهو على ما هو عليه من نزق وميل عارم للنزوات والمغامرات النسائية فالمرء قد يأسى على الفرصة انعادلة التي اتيحت له للسعادة والأمان فاضاعها من بين يديه بتردده او بسوء تقديره لكنه لا يأسى ابدا ولا ينبغي له ان يأسى على اشباه الفرص التي ما كانت لتعده بشيء سوى بالإذعان كارها لما لا يرضاه لنفسه.. او بمضاعفة العناء والإيلام واستشعار الهوان إلى ما لا نهاية.

وانت في حقيقة الامر لم تعرض لك حتى الآن اية فرصة حقيقية لجمع شمل الأسرة والأبناء بين أبويهم تحت سقف واحد، فزوجك السابق لم يكن جادا في نية العودة إليك واستئناف ما انقطع بينكما من علاقة زوجية.. ولو كان كذلك لسعى إليك بإخلاص واثبت لك انه قد استوعب درس تجربة العبث والانفصال وعرف بالثمن الغالي انه لا شيء في الوجود يعدل سعادة الأبناء وإحساسهم بالأمان والكرامة الإنسانية وهم يحيون تحت مظلة أبويهم.. ويشعرون بحمايتهما لهم وحدبهما عليهم.. وإلتزامهما بمسئوليتهم.. ولو كان جادا في نية العودة إليك حقا لما تكررت زيجاته العرفية خلال فترة انفصاله القصيرة عنك حتى بلغت خمسا او ستا إذا اضفنا إليها زيجته من المطلقة الطروب التي انفصل عنك في البداية لكي يتفرغ لها ولأحلامه في الثراء عن طريقها، ولما تاه بنفسه فخرا بأن زوجته العرفية الخامسة أو السادسة قد برهنت على عظيم حبها له بالحمل منه! مع أنه لاشيء فيما يثيبه به يدعو للاعتزاز أو الفخر ولو تفكر في الأمر مليا لأدرك ما ادركه الفضلاء من قبله، وهو انه ما من رجل في الوجود تعييه الحيل في الارتباط بامرأة او أكثر في مغامرة عارضة إذا أراد ذلك وما من امرأة في الوجود تفتقد الشريك إذا رغبت في خوض علاقة عابثة وسمحت لها اخلاقياتها بذلك.. لأن العبث والمجون والتفريط هو الأسهل والأيسر دائما في كل مكان وزمان والأصعب وما يستحق الفخر والاعتزاز به حقا هو الالتزام والإخلاص والوفاء.. واحترام الذات ورعاية المثل العليا واتباع النهج القويم في الحياة لهذا فلقد قيل بحق إن العبث هو عزاء التافهين عن استشعارهم لتفاهتهم وسطحيتهم وضعف التزامهم الخلقي وعجزهم عن تحمل تبعاته التي لا يقدر عليها إلا الفضلاء واولو العزم من الرجال والنساء. فلا تندمي على استشعارك لكرامتك الإنسانية ورفضك العودة إلى زوجك السابق وهو على ما هو عليه من نية الاستمرار في العبث والمغامرة وتعدد العلاقات إلى ما لا نهاية كما توحي بذلك احواله، كما ان حمل زوجته الخامسة أو السادسة قد خلق وضعا جديدا يصعب تجاهله الآن أو تغييره بغير خسائر إنسانية جديدة تضاف إلى قائمة الضحايا من الأبناء الحائرين، والزواج في النهاية كما يقول لنا الفيلسوف الألماني شوبنهاور: هو اتحاد إرادتين من أجل إرادة أعلى.. «هي الأبناء» وليس كما يريده زوجك السابق عقد إذعان وتسليم بأمر واقع غير مرض وليست لديه أية نية لتغييره إلى الأفضل أو التخلص منه فاطوي سيدتي صفحة الحديث عن هذه الفرصة التي لم تجيء إليك من الأصل.. واهتمي بحياتك وابنتك وبعلاقتك بولديك وتطلعي إلى المستقبل بقلب يخفق بالأمل في رحمة الله وتعويض السماء.. وتذكري أن خير ما نقدمه لأنفسنا حين ينبذنا من كنا نشاركهم رحلة الحياة هو أن نعيد بناء حياتنا بغير الاعتماد عليهم كما كنا نفعل في حياتنا السابقة، فنكون بذلك صالحين للتعامل مع فرص السعادة الحقيقية التي تعرض لنا في المستقبل.. واكثر قدرة على الاختيار الحر لأنفسنا وحياتنا منا ونحن منهارون وضائعون وأسرى لآلام الفشل والإحساس المرير بالنبذ والخذلان.